السجع في كتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور دراسة بلاغية تحليلية

إيمان سالم عمر حمدون
قسم اللغة العربية وآدابها، كليــة الآداب، جامعــة عـدن
DOI: https://doi.org/10.47372/jef.(2026)20.1.223

الملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد ابن طيفور، واستجلاء أنواعه، وإظهار أبعاده الجمالية والفنية، ومدى توظيفها في البناء الشعري، معتمدين في ذلك على منهج الوصفي التحليلي.
وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مقدمة، وتمهيد، ومبحث تطبيقي، وخاتمة، وتضمنت المقدمة أهداف البحث، وإشكاليته، ومنهجه، أهميته، ودوافعه، وتقسيمه، فيما تناول التمهيد تعريف السجع وأنواعه، وعلاقته بالمعنى والصوت والصورة، وأهميته، وخصص المبحث التطبيقي لدراسة السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج أبرزها: أن السجع في شعر النساء لم يكن مجرد زينة لفظية، بل جاء وسيلة بلاغية فاعلة للتأثير والإقناع، سواء في سياق الرثاء أو الهجاء أو الفخر أو الشوق. وأن شعر النساء امتاز بقوة اللغة ومتانة التركيب وبراعة الانتقال بين الصور والمعاني، وقدرة على توظيف السجع بتوازن بين المعنى والعاطفة والإيقاع.

الكلمات المفتاحية: بلاغات النساء، ابن طيفور، السجع، البلاغة النسوية.

المقدمـة: تُعَدّ البلاغةُ العربية بعلومها الثلاثة:(المعاني، البيان، البديع) مجالًا واسعًا لدراسة أسرار التعبير، وكشف جماليات النصوص. ولعلّ السجع، بوصفه أحد أبرز فنون البديع، كان ولا يزال سمةً لافتة في الأدب العربي شعره ونثره.
ويُعدُّ كتاب "بلاغات النساء" لأبي الفضل ابن طيفور (ت 280هـ) واحدًا من المصنفات التي جمعت أدب النساء شعره ونثره منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ويكشف هذا الكتاب عن حضورٍ بارزٍ لفن السجع في شعر النساء، إذ ظهر هذا المظهر البلاغي بوصفه وسيلة فنية للتأثير، والإقناع، وتحقيق التوازن الإيقاعي في القول الشعري. إن دراسة السجع في هذا الكتاب ليست مجرد رصدٍ لظاهرة صوتية، بل محاولة لفهم الوظائف البلاغية التي أدّتها هذه الظاهرة داخل سياقات خطابية مختلفة: سياسية، وجدانية، دفاعية، وجدلية.
ويهدف هذا البحث إلى: تحليل ظاهرة السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء تحليلاً بلاغيًا، والوقوف على دلالاته الجمالية والتعبيرية التي أدّاها داخل النصوص الشعرية، والكشف عن الوظائف البنائية له؛ وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة البحث المتمثلة في: ما أنواع السجع التي وظّفته الشاعرات؟ وهل كان سجعًا متكلّفًا أم عفوياً؟ ما الوظائف البلاغية والجمالية التي أدّاها السجع في الشعر؟
أما منهج البحث فقد اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع أنواع السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، واستجلاء جماليته الأسلوبية التي أداها في الشعر. وتبرز أهمية البحث في أنه يسلط الضوء على شعر النساء في كتاب بلاغات النساء، برؤية بلاغية منهجية لأحد الظواهر البلاغية فيه، هو السجع وتحليلها للكشف عن ملامحه الجمالية والفنية، ووظائفها الدلالية، وأثره في بناء المعنى والوجدان في الشعر. وقد دعتني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب أهمها: إن السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور لم يخصص _حسب علمي- بدراسة مستقلة، إنما دُرِس مع شعر النساء في العصر الجاهلي والإسلامي، وإن السجع مما توافر في شعر النساء في الكتاب بشكل لافت. وقد قُسِّمَ البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحث تطبيقي، وخاتمة، وتضمنت المقدمة أهداف البحث، وإشكاليته، ومنهجه، أهميته، ودوافعه، وتقسيمه، فيما تناول التمهيد تعريف السجع وأنواعه، وعلاقته بالمعنى والصوت والصورة، وأهميته، وخصص المبحث التطبيقي لدراسة السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور حسب أنواعه: سجع قصير، وسجع طويل، وتضمنت الخاتمة أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ألحقت ذلك بسرد للمصادر والمراجع التي استفدت منها في كتابة هذا البحث.
التمهيد: تمثّل البلاغة العربية بجمالياتها وأدواتها ركيزة مركزية في الخطاب العربي منذ الجاهلية، وقد كان السجع أحد أبرز ملامحها، لما له من قدرة على إضفاء إيقاع صوتي يُعزز المعنى ويشد المتلقي. وقد استُخدم السجع في القرآن الكريم والحديث النبوي، كما انتشر في الخطب، والرسائل، فعُدَّ ظاهرة أسلوبية متجذّرة في الذائقة العربية. ويعدّ كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور (توفي 280هـ) من أقدم المصنفات التي حفظت نماذج من نثر النساء وشعرهن، في موضوعات متعددة كالرثاء، الفخر، الحنين، اللوم، والهجاء، وقد ظهرت فيه موهبة عدد من النساء في التعبير عن مواقفهن الحياتية والعاطفية بلغة فنية رفيعة، وكان السجع أحد السمات البارزة التي ظهرت في كثير من هذه النصوص.
ويمثل السجع لون من الألوان البديعية التي تضفي على النص الشعري إيقاعاً موسيقياً جميلاً يشبه إلى حد كبير القافية ولكنه يختلف عنها في مكان حدوثها.
السجــع لغــةً: ورد في لسان العرب: " سَجَعَ، يسجعُ، سجعًا؛ أي: استوى واستقام، واشتبه بعضه بعضًا، وهو الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي واحد، وجمعه: أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من سجع الحمام، وسجع الحمام، هو هديله وترجيعه لصوته، وسجَّعَ تسجيعًا: تكلم بكلام له فواصل، كفواصل الشعر من غير وزن، سجع الحمام يسجع سجعًا: هدل على جهة واحدة".[1]

[1] ـ لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار الكتب العلمية، ودار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، مادة (س ج ع)، ص179.

والسجع في تاج العروس: "هو موالاة الكلام على روي واحد، وعند ابن جني سُمِّي سجعًا لاشتباه أواخره وتناسب فواصله، سجع الكلام فهو مسجوع، وسجع بالشيء، نطق به على هذه الهيئة، والأُسجوعةُ، ما سُجِع به".[2]

أما السجع اصطلاحاً: فقد تعددت تعريفاته وتنوعت، فقد عرفه المبرد (ت 285هـ)، بقوله: "السجع في كلام العرب: أن تأتلف أواخر الكلام على نسق كما تأتلف القوافي"[3]، وعرفه أبو هلال العسكري (ت 395هـ): بقوله: "أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين، لا يزيد أحدهما عن الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه"[4]، فيما عرفه ابن الأثير بأنه: " تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[5]، وقالوا إنه: "يقع في الشعر، كالقوافي في النثر"[6]. وقد عَرَفَ العرب السجع على يد الكهان، الذين ادعوا اتصالهم بعالم الغيب، فكانوا يستخِفون عقول الناس بسجعهم، وساعدهم على ذلك وجودهم في دور العبادة بين الأصنام والأوثان، ومن أشهر الكهان في العصر الجاهلي، سلعة بن أبي حية، وكان أكثرهم استعمالًا للسجع في العصر الجاهلي، ومما قاله: "والأرض والسماء والعقاب والصقعاء واقعة ببقعاء، لقد نفَّر المجد بين العشراء، للمجد والسناء"[7] ومن أشهر الكاهنات: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمنية، وزبراء من بني رئام، حين أنذرت قومها من غارة قادمة من أعدائهم بقولها: "واللوح الخافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق، إن شجر الوادي ليأدوا ختلا، ويحرق أنيابًا عُصْلًا، وإن صخر الطود لينذر ثُكلا، لا تجدون عنه معلا"[8].

وينقسم السجع من حيث طول فقراته وقصرها على نوعين حسبما يرى ابن الأثير هما:

1. السجع القصير: هو أن تكون كل فقرة من فقرات السجع مؤلفة من كلمات قليلة، وكلما قلت الألفاظ، كان ذلك أحسن؛ لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السَّامع، وقد يكون أقل تأثيرًا من السجع الطويل والمتوسط.
2. السجع الطويل: هو ما زادت كلمات كل فقرة على عشرات الكلمات، وقد تزيد كلمات تلك الفقرات إلى عدد كبير، غير أن أقصى ما ورد في السجع في القرآن الكريم عشرون كلمة، وقد يصعب فهمه أحيانًا.[9]، إلا أن بعض الدارسين قسم السجع على ثلاثة أقسام هي: سجع قصير، وسجع طويل، وسجع متوسط[10]، ونحن سنسير في بحثنا _ إن شاء الله_ هذا وفق تقسيم ابن الأثير.

ولكي يكون السجع صحيحًا، يجب أن تتوافر فيه الشروط الآتية:

1. التناسب: يجب أن يكون السجع متناسبًا مع السياق والمعنى.
2. الوضوح: يجب أن يكون السجع واضحًا، لا يسبب لبسًا في المعنى.
3. الجمال: يجب أن يضيف السجع إلى الكلام جمالًا وإيقاعًا.[11]

ويرتبط السجع في النص بعلاقات مع المعنى والإيقاع والصورة، فتظهر علاقته بالمعنى في أنه يقوي المعنى ويوضحه، فهو وسيلة للتعبير عنه، أما علاقته بالإيقاع فتبرز في اختيار الألفاظ المتجانسة والمتماثلة صوتيا، لكي تطرب لها أذن السمع من جهة، ولتسهيل الحفظ والترديد لاسيما في الشعر التعليمي من جهة أخرى[12]. أما علاقته بالصورة فتتجلى في أنه يوضح الصورة ويضفي عليها جمالا لاسيما في وصف الطبيعة، فضلاً عن أن الشاعر يستطيع أن يربط بين السجع وحسه الداخلي؛ لكي يعبر عن أحاسيسه ومشاعره بطريقة شعرية عميقة.

وتكمن أهمية السجع في أنه يعدّ أبرز مظاهر البلاغة العربية، وهو يتجاوز كونه مجرد زخرف لفظي إلى أنه وسيلة تعبيرية مهمة لتأثير في المتلقي؛ وكذا إذ يسهم في خلق إيقاع موسيقي يضفي على الكلام جمالًا وسلاسة ورونق، مما يجذب الانتباه ويؤثر في المشاعر، وفضلاً عن ذلك أنه يسهم في إثارة المشاعر وتوجيهها نحو المعنى المراد إيصاله، مما يجعل الكلام أكثر تأثيرًا، ويزيد من قوة الإيقاع؛ إذ يجعل الكلام أكثر جاذبية وقبولًا لدى المستمع، وأيضاً له دور في تسهيل حفظ النصوص؛ إذ يرتبط الإيقاع واللحن بسهولة الحفظ والتذكر، وكذلك يساعد على ترسيخ المعاني في الأذهان، وذلك بسبب ارتباطها بإيقاع الكلمات المختارة .

المبحث التطبيقي: سنقف في هذا المبحث التطبيقي على دراسة السجع في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، وفق نوعيه سجع قصير وسجع طويل، وكيف وُظِّفَ السجع في شعرهن، وما الوظائف الجمالية والتعبيرية التي أداها في البناء الشعري.

أولاً: السجع القصير: وبالتأمل في شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور نرى أن السجع القصير كان له حضور في شعر النساء، فمن السجع القصير قول امرأة ترثي أخاها وزوجها وابنها[13]: (البسيط)

---

[2] - تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه – 1993م.، مادة (س ج ع)، 180/21.

[3] - الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المُبرّد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1412هـ - 2003م، 787/2.

[4]- الصناعتين، أبو هلال بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1419هـ، 262.

[5]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د/أحمد الحوفي، د/بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط 2، د.ت، 210/1.

[6]- الجوهر المكنون، عبد الرحمن بن محمد الأخضري (قديرى مدرسة هداية المبتدئين بالمعهد الإسلامي بيربايا، مجهول السنة)، 126.

[7]- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ، 1998م، 290/2..

[8]- الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت، 127/1.

[9]- المثل السائر، 257/1.

[10]- ينظر: السجع في القرآن، ديفين ج. ستيوات، ترجمة: د. إبراهيم عوض، شركة الأهرام للدعاية والنشر، ط2، 1995م، 50.

[11] - ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 2019م، 222/1.

[12] - ينظر: السجع عند ابن سنان الخفاجي (من منظور الصوتيات)، زينب بنت قيراط حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (25)، ديسمبر 2018م، 465 - 477.

[13] - لم أجد لها ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

عند استنطاق البيتين السابقين، نجد أن السجع جاء في (الدهر/الأمر) ووظفت الشاعرة السجع لتأكيد المعنى حزنها على فراق أحبتها من جهة، والثناء عليهم من جهة أخرى، فهم علية القوم الذي لايتم الأمر والنهي إلا بهم، إلا أنه عوادي الزمن جعلتها وحيدة مفردة من دونهم، وكذلك نجد السجع في البيت الثاني في: (زهر، وعذر)، خلق نوعًا من الإيقاع الداخلي للبيت، ما يشد القارئ له، ويدعوه للتأمل في المعنى؛ إذ عبّر هذان البيتان عن عمق الحزن والألم الذي تشعر به الشاعرة بفقدان أحبتها: الأخ، والزوج، والابن. ففي البيت الأول تبين أن الدهر جعلها وحيدة، عند فراق أحب الناس إليها، وهم الكرام والأشراف، وهذا يدل على مكانتهم العالية في نظرها، وعلى عمق العلاقة التي كانت تضعه الشاعرة فيهم. وفي البيت الثاني توضح أنهم كانوا يضيئون حياتها بوجودهم، وتعترف بحقها في الجزع والحزن على فراقهم، وتؤكد أن هذا الجزع أمر طبيعي ومبرر في مثل هذا الموقف. والسجع في (الدهر، والأمر) (وزهر، وعذر) أضفى على البيتين جمالا فنيا، وقوى المعنى الذي تحمله؛ مما يجعل المتلقي ينغمس في عمق المعاني التي يحملها البيتان، وتجعله يشعر بتعاطف عميق مع الشاعرة. فالسجع يظهر جمال اللغة وقدرتها على التعبير عن المعاني بوسائل تعبيرية بديعة، فهو أداة قوية تسهم في خلق تجربة شعرية غنية ومؤثرة في المتلقي، فالسجع لم يأت في البيتين للزخرفة اللفظية بل متسقاً مع السياق الشعري، فأدى وظائف جمالية وفنية في النص.

وأيضا من السجع القصير قول الدحداحة الفقيمية[14]: **(الرجز)**

إنْ دَعَى غَلَبَ هُمَامَا ... أَنْكَرَت مِنْهُ شَعَرًا ثُوَامَا
قِيْنٌ لَقِيْنٌ يَرْفَــعُ البُرامَا
مِنْ مَعْشَرٍ وَجَدْتَهُمُ لِئَامَا ... لَيْسُوا إِذَا مَا نُسِبُوا كِرَاما

أَفْرَدَنِي مِمَّنْ أَحِبُّ الدَّهْرُ ... مِنْ سَادةٍ بِهِمُ يَتِمُّ الأَمْرُ
ثُلَّةٌ مِثْلُ النُّجُــــــــــومِ زُهْــرٌ ... فَإِنْ جَزِعْتُ إِنَّهُ لَعُــــــــذْرُ[16]
سُوْدَ الوُجُوهِ عُذّلاً أَبْرامَا

لَو تَرَكَ القَطَا إذا لَنَامَا ... هَذا مُقامي فَأتَّخِذَ مُقامَا
اذْكَرَهُ الفَرَزْدَقُ الرّحَامَا ... لَمَّا رآني أَسْرَعَ انْهِزَامَــــا[15]

مقطوعة الدحداحة التي ذكرتها مثال غنيّ بالسجع الذي أدى وظائف جمالية وإيقاعية فيه فجاء السجع في أواخر أصدر الأبيات وأعجازها ليؤكد معنى وهو هجاؤها للفرزدق بألفاظ ذات إيقاع موسيقي متماثل _غالبا_ وقد كساه السجع تنغيما، لتطرب له أذن السامع، ويؤثر فيه ويرسخ المعنى، إذ استعملت الشاعرة ألفاظًا قوية وجزلة لذم المهجو وتحقيره، فوصفته باللؤم والبخل والجبن، وفضلاً عن ذلك فقد أسهم السجع في إبراز مشاعر الشاعرة وانفعالاتها نحو المهجو. وكذلك من السجع القصير أبيات أروى بنت الحارث ابن عبد المطلب القرشية -رضي الله عنها- في رثاء الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه_[17]: (الوافر)

أَلَا يَا عَيْنُ وَيْحَكِ أَسْــــــعِدِيْنَا ... أَلَا أَبْكِي أَمِيْرَ المُؤمِـــــــنِينا
رُزِيْنا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا ... وَفَارِسَها وَمَنْ رَكِبَ السَّفِينا
وَمَنْ لَبِسَ النِّعَالَ أَو احْتَذَاها ... وَمَنْ قَرأَ المَثَّاني والـــــــــمَئِيْنَا[18]

تجلى السجع في أبيات أروى بنت الحارث بن عبد المطلب في البيت الأول (أسعدينا، والمؤمنينا) يُعدُّ أنموذجًا بليغًا من الرثاء النسوي في صدر الإسلام؛ الذي امتزجت فيه العاطفة الصادقة مع الصياغة البلاغية المحكمة، فعزز السجع الإيقاع الموسيقي للبيت، وأكد المعنى المراد إيصاله، حزنها وبكائها على فراق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فأدى السجع إلى تقوية المعنى وتوكيده، وأضفى على الأبيات سمة إيقاعية تطرب لها الآذان لتجذب المتلقي إليها. وأيضا من السجع القصير قول أم سنان بنت خيثمة بن خرشة[19]: (الكامل)

عَزبَ الرّقادُ فَمُقلتي لا ترقدُ ... وَاللّيلُ يصدرُ بِالهمومِ ويوردُ[20]

---

[14] - شاعرة أموية، من بني فقيم، أورد ابن طيفور في بلاغات النساء أبياتًا لها تهجو فيها الفرزدق؛ إذ كان قد هجا قومها، فقالت الأبيات السابقة، ينظر: معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2006م.، 207.

[15] - بلاغات النساء، لابن طيفور، 192.

[16] - بلاغات النساء (طرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن، وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام)، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، مطبعة مدينة والدة عباس الأول، بالطرقة الشرقية بشارع خير القاهرة، 1326هـ - 1908م، 188.

[17] - صحابية (ت 50هـ - 670م)، اشتهرت بالفصاحة، عاشت إلى زمن معاوية -رضي الله عنه-، وكان مقامها بالمدينة، وفدت إلى دمشق وهي عجوز، فعاتبته على خصومته لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وفاخرته ببني هاشم وفضلتهم على بني أمية، فاعترضها عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، فعيرته بنسبه، وتكلم مروان فأفحمته، فاعتذر لها معاوية عنهما وسألها عن حاجتها، فقالت: ما لي إليك حاجة وقامت فخرجت، بعث لها معاوية قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة وتوفيت بها في أيامه. ينظر: معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى مراد، 75، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، ط1 1352ه-1934م، 132.

[18] - بلاغات النساء، لابن طيفور، 35. رزينا: من رزأ والرزيئة: المصيبة، لسان العرب، مادة (ر ز أ)، 6/ 144. المثاني: قيل السبع المثاني (الفاتحة)، وقيل المثاني؛ لأنه يتثنى بها في كل ركعة من ركعات الصلاة، وتعاد في كل ركعة، والمئينا: التكرار، لسان العرب، مادة (ث ن ي)، 14/ 119.

[19] - شاعرة أموية، كانت من نصيرات علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- وفدت على معاوية تشكو إليه واليه على المدينة مروان بن الحكم، وقالت في ذلك شعرًا، ينظر: معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى مراد، 83.

[20] - بلاغات النساء، لابن طيفور، 68.

ظهر السجع في قول الشاعرة (ترقد/ يورد) فجسَّد عمق المعاناة والوجد في بكلمات موجزة، متماثلة صوتياً، أعطت إحساسًا بالاستمرار في الحزن والأرق، وجلاها، فلم يأت لزخرفة اللفظية، إنما وسيلة فنية أحدثت إيقاعاً موسيقيا للتأثير في المتلقي، وخلق شعر مؤثر جميل. إذ أحدث السجع تقارباً بين السهر والحزن، ويوحي بأن الليل قد صار وعاءً للهمّ، يُدخل الهمّ ويخرجه من دون توقف، فضلاً عن أنه منح البيت إيقاعًا داخليًا متناسقًا، يعكس اضطرابًا نفسيًا عميقًا، يُظهر بوضوح أثر الفقد والحزن.

وكذلك من السجع القصير، ما قالته عارية بنت قزعة الدينارية في ابنها روس[21]: (المنسرح)

أَشْبَهَ رَوْسٌ نَفَــــرًا كِرامـــــــا ... كانُوا الذَّرَى وَالْأَنْفَ وَالسِّناما
كانُوا لِمَنْ خالَطَهُمْ أدامـــــــــًا ... كَالسَّمْنِ لَمَّا خالَطَ الطَّعامـــــا
لَوْ رَيِّشاً لَكُنْــتَ مِــنْ قُدَّامـــــا ... أَوْ طائِـراً كُنْتَ أَوْ غُنــــامـــــــا
صَقْرًا إذا لاقَى الْحَمامَ اعْتاما ... رَأَى قَطــاً غُدْوَةً أَوْ سِمـــــانـــــــا
فانقض واحتم لها احتمامـــــــــــأ[22]

عند استنطاق أبيات عارية، نجد السجع المتوازي في الكلمات (كراما، والسناما، واداما)، وأيضًا نجد السجع في (طعامًا، وقدامًا، وغنامًا)، فأسهم السجع في إبراز مشاعر الحزن والفخر، التي تملأ قلب الشاعرة، وجعل كلماتها أكثر تأثيرًا في نفوس المستمعين، فضلاً عما أضفاه على الشعر من نغم موسيقي، يجذب الانتباه، ويسهل الحفظ، كذلك ساعد على ترسيخ المعاني في الذهن.

يبدو لنا مما سبق عرضه أن السجع القصير كان أكثر حضورا في الشعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور.

ثانيًا: السجع الطويل: وبالعودة إلى شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور نرى أن السجع الطويل كان له حضور في شعر النساء، ومن ذلك ما قالته أم عمرو بنت المكدم ترثي أخاها ربيعة بن مكدم[23]: (البسيط)

مَا بَالُ عَيْنِكِ مِنْها الدَّمْعُ مُهْراقِ ... سجلا فَلَا عازِبٌ مِنْها وَلا راقِ
أَبْكِي عَلَى هالِكِ أَوْدَى وَأَوْرَثَنِــي ... بَعْدَ التَّفَرُّقِ حَزًّا حُزْنهُ باقـــــي[24]

ظهر السجع في قول أم عمرو(مهراق، وراق)، وقد وظف بطريقة فنية جميلة وموحية، لتعميق الإحساس بالحزن والألم؛ ليخدم المعنى من دون أن يطغى عليه، ويعكس قدرة الشاعرة على تسخير الإيقاع بوساطة السجع والتماثل الصوتي لخدمة الانفعال الداخلي، وخلق إيقاعًا موسيقيًا للبيت، وتؤكد معنى البكاء المستمر بلا انقطاع؛ إذ جسدت الشاعرة عمق حزنها على أخيها، بأسلوب مؤثر، متسائلة باستغراب عن سبب استمرار عينها في البكاء على أخيها، فهي تبكي بلا توقف، ولا تجد راحة في هذا الحزن العميق، فالدموع تسيل منها بغزارة، وكأنها سيل لا ينقطع، هذا الوصف يعكس حالة من اليأس والحزن الشديد اللذين أصابا الشاعرة بفقدان أخيها. فأسهم السجع في خلق جمال صوتي، يثير العواطف، ويربط بين الكلمات والأفكار، مما يعزز ترابط المعنى، ويجعل المتلقي يشعر بعمق مأساتها وحزنها.

وأيضاً من السجع الطويل قول أسدية في أيام ابن الزبير[25]: (الطويل)

أَلَا لَيْتَ رِكَاضًا أَلَمَّ فَبَاعَنَا ... زِيَارَتَهُ إِنْ كَـــــانَ عَنَّا بِهَا ضِـــنَّا
وَيَا لَيْتَ رِكَاضًا أَلَمَّ فَزَارَنَا ... عَلَىَ ساعَةٍ قَدْ غَابَ فِيها العِدَى عَنَّا[26]

عند استنطاق أبيات أسدية، نجد السجع في (فباعنا، وضنا)، و(فزارنا، وعنا)؛ إذ تشير كلمة (فباعنا)؛ أي: لم يزرنا، و(ضنا)؛ أي: يبخل علينا بزيارته، وجاء السجع بألفاظ رقيقة وتركيب متين، وأسلوب هادئ مؤثر، فأحدث نغما صوتياً في البيت تطرب له الأذن، ووضح المعنى وأكد شدة الشوق والحنين للابن، فأسهم السجع في إبراز مشاعر الحزن والألم، التي تملأ قلب الشاعرة، وساعد على ترسيخ المعاني في ذهن المتلقي، وخلق إيقاعاً موسيقياً داخليا في البيت.

وأيضاً من السجع الطويل قول الخنساء -رضي الله عنها- ترثي مرداسًا[27]: (الطويل)

وفَضْلَ مِرْداسًا على النَّاسِ حِلْمُهُ ... وأنْ كُلُّ هَمٍ هَمَّهُ فَهوّ فَاعِلُـــــــهْ
ووادٍ مَخُون يَكرَهُ النَّاسُ هَبْطَـــــــــــهُ ... هَبَطْتَ وماءٍ مَنهَلٍ أنتَ ناهِلُهْ[28]

---

[21] - ينظر: معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى مراد، 485.
[22]- بلاغات النساء، لابن طيفور، 191.
[23] - وهي شاعرة جاهلية ترثي أخاها ربيعة بن مكدم وهو فارس بني كنانة في حرب بني سليم، ينظر: معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى مراد، 84، ولا نعرف عنها سوى ما جرى من واقعة أخيها الذي حمى ظعن النساء حياً وميتاً، شاعرات العرب، 54.
[24] - بلاغات النساء، لابن طيفور، 177. مهراق: من هرق، قال الأزهري: هراقت السماء ماءها وهي تهريق والماء مهراق، الهاء في ذلك كلمة متحركة، لأنها ليست بأصلية، وإنما هي بدل من همزة أراق، لسان العرب، ابن منظور، ج15، ص55، راق: أعجبه وسره، لسان العرب، ابن منظور، 1/ص134
[25] - لم أجد لها ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.
[26] - بلاغات النساء، ابن طيفور، 203.
[27] - تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُلمية من بني سُليم من قيس عيلان من مضر -رضي الله عنها-، (ت 24هـ - 644م)، أشهر شواعر العرب وأشهرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. وأوفدت على الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع قومها بني سليم. فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستنشدها ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خنساء. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظًا من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية، فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استشهدوا جميعًا فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. ينظر: معجم تراجم الشعراء، د. يحيى مراد، 206، وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم الحصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، لبنان ط1،د. ت، 999/4.
[28] - بلاغات النساء، لابن طيفور، 168.

بالنظر في قول الخنساء، نجدها وظّفت السجع في قولها (حلمه/ همه)في البيت الأول، وكذا في البيت الثاني في قولها(منهل/ ناهله) بأسلوب موحٍ ومؤثّر؛ كشفت من خلاله مشاعر الحزن والأسى على من فقدت، والثناء عليه والإشادة به، وجاء السجع عفو الخاطر من دون تكلف، بألفاظ رشيقة، وتركيب متين وتعبير المكثف عكس تمكُّن الخنساء من ناصية اللغة، والسجع في البيتين وضح المعنى وجلاها، إذ ربطت من خلال السجع بين فضيلة الحلم، ، والقدرة والعزيمة على الفعل التي كان يتمتع به مرداس ، مما يعزز من صورة الرجل الفاعل القادر الحكيم.
وفي البيت الثاني نجد السجع بين كلمتي (منهل، وناهله)، وهذا السجع يربط بين صورة المورد وصورة الشارب منه، مما يخلق جميلة بين المعنيين، ويعكس عمقَ حزنِ الشاعرة على فقدان مرداس، وخلق السجع إيقاعا موسيقيا في البيت أحدثت أثرا في أذن المتلقي لها.
ونرى مما سبق بيانه أن السجع الطويل كان أكثر ورودها في لشعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور أقل من السجع القصير.

الخاتمة: وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

- لقد كشف تحليل الشواهد الشعرية من شعر النساء في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور عن حضور فاعل للسجع في شعرهن بنوعيه القصير والطويل، وكان السجع القصير الأكثر حضورا في شعرهن، فيما كان السجع الطويل أقل حضورا منه في شعر النساء في الكتاب، وربما أن ذلك عائداً إلى أن تقيد الشعر بالقافية ووحدة البيت هو ما أدى إلى قلة السجع الطويل في شعر النساء.
- تنوعت الأغراض التي وظفت فيها النساء الشواعر السجع، ما بين الرثاء، والفخر، والهجاء، والحنين، واللوم، ما أظهر الوعي اللغوي والرغبة لديهن في إحكام الإيقاع داخل بنى لغوية منضبطة.
- واتضح من التحليل أن السجع لدى الشواعر جاء عفو الخاطر من دون تكلف أو إقحام، فضلاً عن أنه جاء منسجمًا والسياق العاطفي والموضوعي الذي ورد فيه.
- وتبين أن السجع كان وسيلة فنية وتعبيرية رئيسة للتكثيف الإيقاعي والشعوري في الشعر، لاسيما في مقام الرثاء؛ إذ استعمل لإبراز الحزن وتضخيم وقع الفجيعة، وكذلك وظّفت النساء الشواعر السجع لأغراض تعبيرية متنوّعة، منها: التأكيد الشعوري (في الحزن والشوق)، والتضخيم والمدح (في الفخر والرثاء)، والسخرية والتقريع (في الهجاء).
- كشف البحث أن القوافي المسجوعة، أسهمت في تثبيت الصور الذهنية لدى المتلقي، وتوليد أثر صوتي يتناسب والمقام الخطابي أو العاطفي.

المصـــادر والمراجـــــع:

أولاً: المصادر والمراجع:

1- الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.
2- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 2019م.
3- بلاغات النساء (طرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن، وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، مطبعة مدينة والدة عباس الأول، بالطرقة الشرقية بشارع خير القاهرة، 1326هـ - 1908م.
4- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1418هـ، 1998م.
5- الجوهر المكنون، عبد الرحمن بن محمد الأخضري (قديرى مدرسة هداية المبتدئين بالمعهد الإسلامي بيربايا، مجهول السنة).
6- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم الحصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، لبنان ط1، د.ت.
7- السجع في القرآن، ديفين ج. ستيوات، المترجم: د. إبراهيم عوض، شركة الأهرام للدعاية والنشر، ط2، 1995م.
8- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، ط1 ،1352ه-1934م.
9- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1419هـ.
10- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المُبرّد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1412هـ - 2003م.
11- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار الكتب العلمية، صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
12- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د/أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط2، د. ت.
13- تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1414ه – 1993م.
14- معجم تراجم الشعراء الكبير، د. يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2006م.

ثانياً: الرسائـــل العلميـــة:

1- السجع عند ابن سنان الخفاجي (من منظور الصوتيات)، زينب بنت قيراط، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد (25)، ديسمبر 2018م.

Saj' in the book Balāghāt al-Nisā' by Ibn Tayfūr

An eloquence analytical study

Emman Salm Omer Hamdoon
Arabic Language and Literatus M.A. Student
Faculty of Arts- University of Aden

Abstract: This study aims to examine the phenomenon of *Saj'* (rhymed prose) in the book of *Balāghāt al-Nisā'* by Abū al-Faḍl Ahmad ibn Ṭayfūr by the analysis of selected examples that represent diverse patterns of feminist discourse in the early Islamic eras. The research employs the analytical rhetorical approach focusing on the study of the features, types, functions, and aesthetic and expressive meanings within the various contexts of *Saj'*. The study finds out that *Saj'* is not only a linguistic ornamentation in the women's discourse, but rather it is an effective rhetorical means used for influence and persuasion, either in the contexts of elegy, satire, praise, or longing. The studied examples also demonstrate the ability of the Arab woman in that era to employ *Saj'* balancing between meaning, emotion, and rhythm, indicating also her awareness of Arabic eloquence and her skill to use its rhetorical techniques. The study highlights that the feminist discourse in *Balāghāt al-Nisā'* is equally eloquent or profound as men's; in fact, it sometimes characterized by its sincerity of emotion, sensitivity of structures, and skillful transition between rhymed images and meanings. The study concludes with a number of findings and recommendations reconsidering the traditional feminist eloquence and to study it in the fields of rhetoric and literary criticism.

Keywords: *Balāghāt al-Nisā'*, Ibn *Tayfūr*, Saj' (rhymed prose), Feminist rhetoric.